حكايات الأشبال

الغَزَالُ المَغْرُورُ

تأليف

هذبة بنت على الغويلى

رسوم

أحمد رضا كامل

سفير

الإهداء

إلى أمى وأبى وزوجى وأبنائى

والطفل ياسين طه جبارة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع ٢٢٨٨ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى : 0 - 632 - 361 - 977 ISBN

حَدَّثَتْنِي جَدَّتِي فِي الصِّغَرِ عَنْ عَاقِبَةِ مَنْ أَصَابَهُ الغُرُورُ، فَرَوَتْ لِي حِكَايَةَ الغَزَالِ الأَغَرِّ " بَدْرٍ "فَقَالَتْ:

يُرْوَى أَنَّهُ فِي إِحْدَى الغَابَاتِ الكَبِيرَةِ كَانَتِ الغِزْلانُ تَعِيشُ فِي شَكْلِ قُطْعَانٍ لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهَا، وَعُرِفَ قَطِيعُ الغِزْلانِ المُزَرْكَشَةِ بِتَعَاوُنِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِهِ فِي مُنَازَلَةِ خُصُومِهِ ، وَوُلِدَ لِهَذِهِ المَجْمُوعَةِ فِي لَيْلَةٍ قَمَرِيَّةٍ غَزَالٌ انْبَهَرَ الجَمِيعُ بِجَمَالِهِ وَحُسْنِهِ فَسَمَّوْهُ" بَدْرًا " .

كَبُرَ بَدْرٌ وَازْدَادَ جَمَالاً وَبَهَاءً، فَحَيْثُمَا نَزَلَ اشْرَأَبَّتِ الأَعنَاقُ لِمُشَاهَدَتِهِ وَالتَّطَلُّعِ إِلَى حُسْنِهِ، فَقَدْ كَانَ طَوِيلَ العُنُقِ مَصْقُولَ القَوَامِ حَادَّ القَرْنَيْنِ، لَهُ غُرَّةٌ فِي جَبِينِهِ وَخَصْلَةُ وَبَرٍ حَمْرَاءُ تَتَدَلَّى عَلَى وَجْهِهِ فَتُغَطِّي عَيْنَهُ اليُمْنَى، بِالإِضَافَةِ إِلَى الدَّوَائِرِ البَيْضَاءِ وَالسَّوْدَاءِ الَّتِي تُغَطِّي جِلْدَهُ .

سَلَبَ جَمَالُهُ قُلُوبَ غِزْلانِ المَجْمُوعَةِ، أَمَّا هُوَ فَقَدْ أَحَسَّ بِالخُيَلاءِ وَالغُرُورِ. فَكَانَ يُمْضِي يَوْمَهُ مُتَأَمِّلاً وَجْهَهُ وَقَوَامَهُ عَلَى سَطْحِ مَاءِ الْبِرْكَةِ .

وَعِنْدَمَا كَانَ يَتَجَوَّلُ بَيْنَ المَجْمُوعَةِ كَانَ يَتَهَادَى وَيَتَمَطَّى رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ مُتَجَاهِلاً جَمِيعَ مَنْ حَوْلَهُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَقْرَانِهِ لِيَدْعُوهُ لِيَتَخَلَّى عَنْ غُرُورِهِ وَكِبْرِهِ وَلِيَحْيَى بَيْنَهُمْ كَفَرْدٍ مِثْلَهُمْ .قَالَ لَهُ أَحَدُ أَقْرَانِهِ وَسُمِّيَ بِالبَرْقِ لِسُرْعَتِهِ العَجِيبَةِ : يَا بَدْرُ لِمَاذَا لا تَجْلِسُ مَعَنَا وَتُحَادِثُنَا، فَوَاللَّهِ لَسْتَ أَفْضَلَ مِنَّا فِي شَيْءٍ، فَكُلُّ غَزَالٍ لَهُ مِيزَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ .

نَظَرَ إِلَيْهِ بَدْرٌ ثُمَّ أَصْدَرَ ضِحْكَةً عَالِيَةً فَاسْتَغْرَبَ الجَمِيعُ لِذَلِكَ، وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى بَدْرٌ ضِحْكَتَهُ قَالَ :أَعِدْ عَلَيَّ مَا قُلْتَ، لَسْتُ أَفْضَلَ مِنْكُمْ فِي شَيْءٍ ! وَمَنْ قَالَ لَكَ هَذَا؟! فَأَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ قَوَامِي الجَمِيلِ وَقُرُونِي الحَادَّةِ وَلَوْنِي الزَّاهِي المُزَرْكَشِ؟! هَيَّا انْصَرِفُوا عَنِّي وَلَا تُسَوِّلْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ تَجْعَلُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْدَادًا لِي .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ :نَحْنُ بَنُو جِلْدَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ، وَمَهْمَا طَالَ الزَّمَانُ سَتَحْتَاجُ إِلَيْنَا يَوْمًا مَا .

عِنْدَمَا سَمِعَ بَدْرٌ ذَلِكَ قَفَزَ بَعِيدًا وَلَوَّحَ لَهُمْ بِيَدَيْهِ قَائِلاً : لَنْ يَحْتَاجَ بَدْرٌ الوَسِيمُ لِجِرْذَانٍ مِثْلِكُمْ.

ظَلَّ بَدْرٌ عَلَى تِلْكَ الحَالِ يَتَهَادَى وَيَتَمَطَّى فِي مِشْيَتِهِ بَيْنَ القَطِيعِ حَتَّى سَئِمَ الجَمِيعُ غُرُورَهُ وَكِبْرَهُ . وَذَاتَ يَوْمٍ دَعَاهُ زَعِيمُ الغِزْلَانِ لِحُضُورِ الدُّرُوسِ الَّتِي يُلْقِيهَا عَلَى صِغَارِ الغَزَالِ لِيَتَعَلَّمَ كَيْفَ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ إِنْ هَاجَمَهُ حَيَوَانٌ مُفْتَرِسٌ فَقَالَ :وَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى مُهَاجَمَتِي أَوِ الاقْتِرَابِ مِنِّي، إِنَّ مَنْ يَرَى جَمَالِي وَحُسْنَ قَوَامِي يَخِرُّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ أَوْ يُعْلِنُ انْهِزَامَهُ أَمَامِي دُونَ نِزَالٍ .

عِنْدَمَا سَمِعَ الحَاضِرُونَ كَلامَهُ انْفَجَرُوا ضَحِكًا حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُمْ وَانْحَبَسَتْ أَنْفَاسُهُمْ . أَمَّا بَدْرٌ فَرَاحَ يَعْدُو إِلَى البُحَيْرَةِ لِيُمَتِّعَ بَصَرَهُ بِجَمَالِهِ.

مَرَّتْ أَيَّامٌ عَلى بَدْرٍ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ ، كُلَّمَا أَسْدَى لَهُ أَحَدٌ نَصِيحَةً أَلْقَى بِهَا عُرْضَ الحَائِطِ، وَذَهَبَ إِلَى البُحَيْرَةِ حَيْثُ العُشْبُ الوَفِيرُ وَالماءُ النَّقِيُّ .

انْتَشَرَ خَبَرُ الغَزَالِ الْمَغْرُورِ بَيْنَ سُكَّانِ الغَابَةِ فَبَاتَ أُضْحُوكَةَ الجَمِيعِ وَنُدْرَةً يَتَسَلَّوْنَ بِهَا فِي لَيَالِي سَمَرِهِمْ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الحَيَوَانَاتِ أَضَافَتْ إِلَيْهَا بَعْضَ الشَّيْءِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْوِي أَنَّ بَدْرًا طَلَبَ مِنْ قَطِيعِ الغَزَالِ الْمُزَرْكَشِ أَنْ يُنَصِّبُوهُ زَعِيمًا عَلَيْهِمْ حَتَّى لا تُهَاجِمَهُم الأُسُودُ وَالنُّمُورُ إِنْ رَأَوْا جَمَالَهُ وَبَهَاءَهُ .

وَكَانَ فِي أَقْصَى الغَابَةِ جُحْرٌ سَكَنَهُ ثَعْلُوبٌ وثَعْلُوبَةُ، وَكَانَا يَتَّخِذَانِ مِنَ الحِيلَةِ وَالدَّهَاءِ طَرِيقَةً لِكَسْبِ عَيْشِهِمَا وَتَأْمِينِ حَيَاتِهِمَا . وَذَاتَ لَيْلَةٍ قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : هَلْ جَاءَكَ يَاثَعْلُوبُ نَبَأُ الغَزَالِ الْمَغْرُورِ؟ ضَحِكَ ثَعْلُوبُ وَقَالَ : إِيْه، وَالله، وَهَلْ بَلَغَتْكِ آخِرُ طُرْفَةٍ تُمْتِعِينَنَا بِهَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟

نَهَضَتْ ثَعْلُوبَةُ مِنْ مَكَانِهَا وَاَقْتَرَبَتْ مِنْهُ ثُمَّ جَلَسَتْ وَقَالَتْ بِصَوْتٍ يُخَامِرُهُ الخُبْثُ وَالْمَكْرُ :دَعْنَا الآنَ مِنْ نَوَادِرِكَ، مَا رَأْيُكَ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا وَلِيمَةً لَنَا فِي إِحْدَى لَيَالِينَا؟

تَنَهَّدَ ثَعْلُوبُ وَقَالَ : إِنَّ ذَلِكَ مُنْيَةُ الْمُتَمَنِّي ، وَلَكِنْ كَيْفَ لَنَا بِهِ؟

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : أَمَّا كَيْفَ، فَسَأُخْبِرُكَ بِذَلِكَ بَعْدَ حِينٍ، أَمَّا الآنَ فَنَمْ ، فَغَدًا أَمَامَنَا عَمَلٌ عَظِيمٌ .

وَفِي اليَوْمِ التَّالِي نَهَضَ ثَعْلُوبُ وَثَعْلُوبَةُ، وَاتَّجَهَا حَيْثُ مَرْتَعُ قَطِيعِ الغِزْلانِ الْمُزَرْكَشَةِ، وَعَلَى بُعْدِ مَسَافَةٍ جَعَلا يَرْقُبَانِ بَدْرًا مِنْ بَعِيدٍ .وَكَالعَادَةِ عِنْدَمَا بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَمِيلُ إِلَى الغُرُوبِ اِتَّجَهَ بَدْرٌ صَوْبَ البُحَيْرَةِ لِيَرَى جَمَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الظَّلامُ وَيَحُولَ دُونَهُ وَانْعِكَاسَ صُورَتِهِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ .

عِنْدَمَا رَأَتْ ثَعْلُوبَةُ بَدْرًا يَمِيلُ إِلَى البُحَيْرَةِ نَظَرَتْ إِلَى ثَعْلُوبَ وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ بِرَأْسِهَا، فَاتَّجَهَا زَحْفًا نَحْوَ بَدْرٍ .وَلَمَّا اقْتَرَبَا بَرَزَتْ ثَعْلُوبَةُ إِلَى بَدْرٍ وَقَالَتْ :يَا وَيْلِي، يَا وَيْحِي، أَكَادُ أَفْقِدُ وَعْيِي لِفَرْطِ جَمَالِ هَذَا البَدْرِ السَّاطِعِ وَالنُّورِ اللامِعِ.

عِنْدَمَا سَمِعَ بَدْرٌ كَلامَهَا أَحَسَّهُ يَنْزِلُ بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى قَلْبِهِ، فَهُوَ مُتَعَطِّشٌ إِلَى سَمَاعِ هَذَا الكَلامِ الَّذِي يُشْبِعُ غُرُورَهُ، بَلْ كَانَ يَنْتَظِرُهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ، وَهَا هِيَ ثَعْلُوبَةُ تُغْدِقُ عَلَيْهِ مِنْ مَعْسُولِ الكَلامِ بِدُونِ حِسَابٍ.

اِسْتَفَاقَ بَدْرٌ مِنْ نَشْوَتِهِ، وَالْتَفَتَ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ، فَارْتَعَدَ وَابْتَعَدَ قَلِيلاً .فَبَرَزَ ثَعْلُوبُ وَقَالَ :أَيُّهَا النَّجْمُ السَّاطِعُ، أَرْجُوكَ دَعْنَا نُمَتِّعْ أَبْصَارَنَا بِجَمَالِكَ .

فَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ ثَعْلُوبَةُ أَكْثَرَ وَقَالَتْ :لاَ تَخَفْ يَا صَاحِبَ القَوَامِ الرَّشِيقِ وَالقُرُونِ الحَادَّةِ وَالعُنُقِ الْمَصْقُولِ، فَنَحْنُ سَمِعْنَا عَنْ جَمَالِكَ الأَخَّاذِ فَجِئْنَا مِنَ أَقْصَى الغَابَةِ نُمَتِّعُ أَبْصَارَنَا بِحُسْنِكَ وَبَهَائِكَ، فَامْنَحْنَا بَعْضَ الْوَقْتِ لِنَتَأَمَّلَ جَمَالَكَ.

قَالَ بَدْرٌ :أَخَافُ أَنْ تَفْتَرِسَانِي وَتَأْكُلانِي .

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : نَفْتَرِسُكَ وَنَحْرِمُ أَنْفُسَنَا مُتْعَةَ النَّظَرِ إِلَيْكَ !وَاللَّهِ لَلْمَوْتُ أَحَبُّ عِنْدِي مِنْ أَنْ تَهُبَّ عَلَيْكَ نَسْمَةٌ قَاسِيَةٌ فَتُؤْذِيَكَ .

اِقْتَرَبَ ثَعْلُوبُ أَكْثَرَ وَقَالَ :وَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى ذَلِكَ؟ إِنَّ رُؤْيَتَكَ تَشْفِي كُلَّ عَلِيلٍ.

تَمَنَّى بَدْرٌ أَنْ يَسْمَعَ قَطِيعُ الغِزْلاَنِ الْمُزَرْكَشَةِ هَذَا الكَلاَمَ لِيَعْرِفُوا تَقْصِيرَهُمْ مَعَهُ، لَكِنَّ سَمَاعَهُ هَذَا الكَلاَمَ جَعَلَهُ فِي نَشْوَةٍ عَارِمَةٍ وَسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ .ثُمَّ قَالَ بِكُلِّ غُرُورٍ: يَكْفِيكُمَا يَا ثَعْلُوبَةُ وَ يَا ثَعْلُوبُ هَذَا القَدْرُ، فَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ انْصِرَافِي، وَسَوْفَ نَلْتَقِي غَداً . وَرَاحَ يَعْدُو وَكَأَنَّهُ يُحَلِّقُ فِي السَّمَاءِ وَيُعَانِقُ النُّجُومَ.

وَفِي اليَوْمِ التَّالِي، وَفِي نَفْسِ الْمَوْعِدِ كَانَ ثَعْلُوبُ وَثَعْلُوبَةُ يَنْتَظِرَانِ بَدْراً . وَعِنْدَمَا أَقْبَلَ قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : أَهْلاً بِصَاحِبِ الطَّلْعَةِ البَهِيَّةِ وَالقُرُونِ الحَدِيدِيَّةِ .

وَقَالَ ثَعْلُوبُ : مَرْحَبًا بِصَاحِبِ الحُسْنِ وَالبَهَاءِ .

نَظَرَ إِلَيْهِمَا بَدْرٌ دُونَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى تَحِيَّتِهِمَا وَقَالَ :وَمَاذَا تُرِيدَانِ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟

قالَتْ ثَعْلُوبَةُ : يَا ذَا الأَقْدَامِ الْمُخَضَّبَةِ بِالحِنَّاءِ ، وَصَاحِبَ الحُسْنِ وَالبَهَاءِ، لَقَدْ بَاتَ مَرْآكَ عِنْدَنَا بِمَثَابَةِ الدَّوَاءِ الَّذِي يَشْفِي مِنْ كُلِّ دَاءٍ، فَلا تَحْرِمْنَا مُتْعَةَ هذَا اللِّقَاءِ، وَإِنْ شِئْتَ جَازَيْنَاكَ وَكَافَأْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ .

أَحَسَّ بَدْرٌ بِغِبْطَةٍ تَعْتَرِيهِ، ثُمَّ قَالَ تَلَهُّفًا : وَمَاذَا تَكُونُ مُكَافَأَتِي؟

اِقْتَرَبَ مِنْهُ ثَعْلُوبُ قَلِيلاً وَقَالَ :نَجْلِبُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ عُشْبًا طَرِيًّا وَعَسَلاً زَكِيًّا.

قَالَ بَدْرٌ : وَهَلْ تَقْدِرَانِ عَلَى ذَلِكَ؟

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : لأَجْلِ حُسْنِكَ وَبَهَائِكَ نَدْفَعُ أَعْمَارَنَا فِدَاءً.

قَالَ بَدْرٌ : إِذَنْ اِتَّفَقْنَا، سَيَكُونُ مَوْعِدُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَمَا تَمِيلُ الشَّمْسُ إِلَى الغُرُوبِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، أَمَّا الآنَ فَأُرِيدُ أَنْ أَخْلُوَ بِنَفْسِي قَلِيلاً .

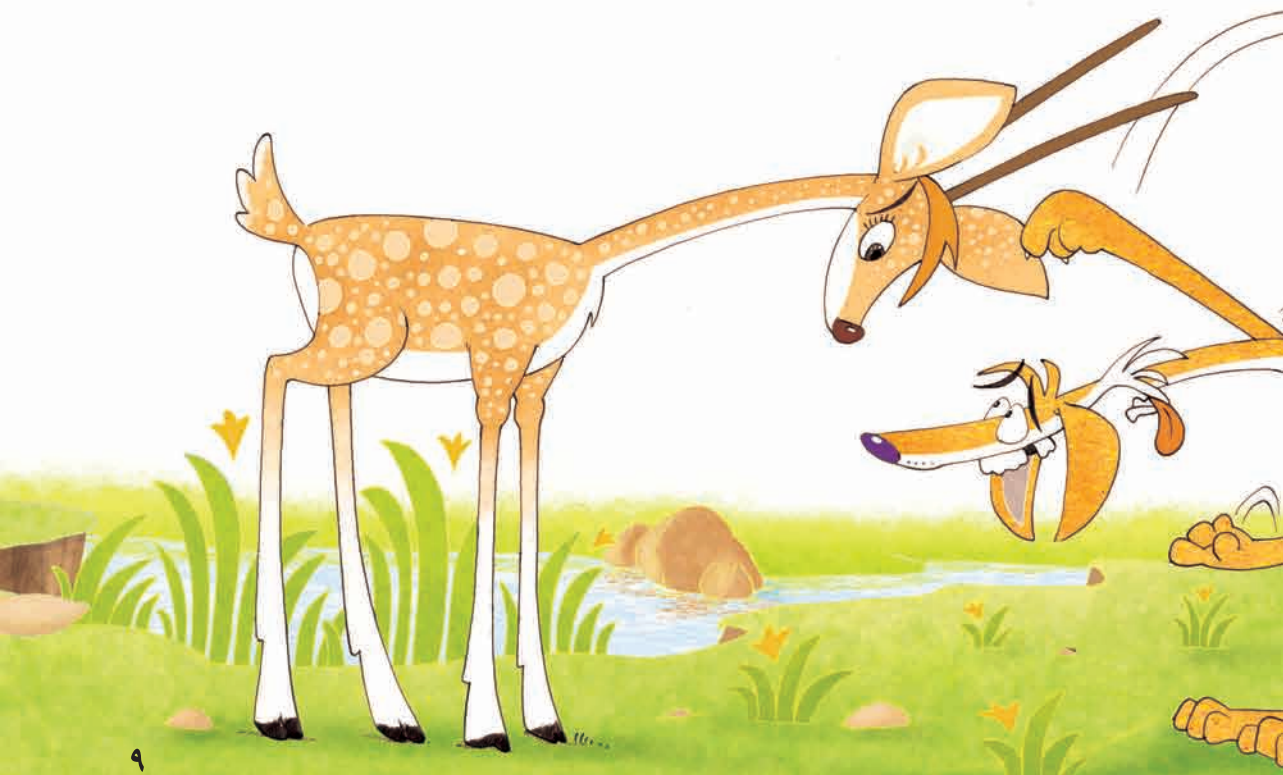

فَهِمَ ثَعْلُوبُ وَثَعْلُوبَةُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَمَّلَ وَجْهَهُ عَلَى سَطْحِ البُحَيْرَةِ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ.

اِبْتَعَدَ ثَعْلُوبُ وَثَعْلُوبَةُ قَلِيلا وَارْتَمَيَا عَلَى الأَرْضِ ضَحِكًا حَتَّى كَادَتْ أَنْفَاسُهُمَا تَنْحَبِسُ، وَبَعْدَ أَنِ اسْتَفَاقَا مِنْ نَوْبَةِ الضَّحِكِ قَالَ ثَعْلُوبُ :مَا كُنْتُ أَحْسَبُكِ وَاسِعَةَ الحِيلَةِ وَالدَّهَاءِ إِلَى هَذَا الحَدِّ يَا ثَعْلُوبَةُ .

اِبْتَسَمَتْ ثَعْلُوبَةُ، وَقَالَتْ :لَيْسَ دَهَائِي وَحِيلَتِي هُمَا اللَّذَانِ سَيُوقِعَانِ بِهِ فِي الفَخِّ وَإِنَّمَا غُرُورُهُ وَغَبَاؤُهُ، يَا لَهُ مِنْ أَحْمَقَ.

مَضَتْ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ وَثَعْلُوبُ وَثَعلُوبَةُ مُدَاوِمَانِ عَلَى مَوْعِدِهِمَا مُحَمَّلاَنِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ بِالعُشْبِ الطَّرِيِّ وَالعَسَلِ النَّقِيِّ إِلَى بَدْرٍ فَأَحَسَّ بَدْرٌ بِالأَمَانِ تُجَاهَهُمَا، وَأَصْبَحَا عِنْدَهُ مِنْ خِيرَةِ أَصْدِقَائِهِ .

وَفِي اليَوْمِ الرَّابِعِ لَمْ يَأْتِ ثَعْلوبُ وثَعْلُوبَةُ، وَلَمْ يَأْتِيَا كَذَلِكَ فِي اليَوْمِ الخَامِسِ ... فَأَحَسَّ بَدْرٌ بِالانْزِعَاجِ وَالقَلَقِ ، فَمَنْ سَيُسْمِعُهُ الآنَ عِبَارَاتِ الثَّنَاءِ وَالإِطْرَاءِ الَّتِي كَانَتْ تُدَغْدِغُ مَشَاعِرَهُ وَتُضَاعِفُ مِنْ غُرُورِهِ ؟!

وَبَعْدَ أُسْبُوعٍ ظَهَرَ ثَعْلُوبُ وَثَعْلُوبَةُ مِنْ جَدِيدٍ بِجَانِبِ البُحَيْرَةِ يَنْتَظِرَانِ بَدْرًا.

عِنْدَمَا رَآهُمَا بَدْرٌ هَرْوَلَ مُسْرِعًا نَحْوَهُمَا، وَقَالَ : حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى سَلامَتِكِمَا أَيُّهَا الصَّدِيقَانِ . فَرَدَّا عَلَيْهِ بِصَوْتٍ حَزِينٍ :مَرْحَبًا بِالبَدْرِ الْمُشْرِقِ.

اِقْتَرَبَ مِنْهُمَا بَدْرٌ أَكْثَرَ وَقَالَ : مَا المُشْكِلَةُ ، وَمَا سِرُّ الحُزْنِ الَّذِي يُخَيِّمُ عَلَيْكُمَا؟

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : لا تَسَلْ أَيُّهَا الغَزَالُ الجَمِيلُ عَمَّا أَصَابَنَا .

قَالَ بَدْرٌ بِاسْتِغْرَابٍ : وَمَا الَّذِي أَصَابَكُمَا يَا صَدِيقَيَّ؟

قَالَ ثَعْلُوبُ : لَقَدْ فَقَدْنَا فِي الأُسْبُوعِ المَاضِي زَعِيمَنَا .

قَالَ بَدْرٌ :وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ :لَقَدْ كَانَ زَعِيمُنَا قَبِيحَ الْمَنْظَرِ بَشِعَ الخِلْقَةِ، رَآهُ الأَسَدُ مَارًّا بِالقُرْبِ مِنْهُ فَاسْتَفَزَّهُ مَنْظَرُهُ فَانْقَضَّ عَلَيْهِ وَقَسَمَهُ نِصْفَيْنِ فَمَاتَ.

قَالَ بَدْرٌ :الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَنِي جَمِيلاً أَنِيقًا بَدِيعَ الْمَنْظَرِ حَسَنَ الخِلْقَةِ.

قَالَ ثَعْلُوبُ :نَعَمْ أَيُّهَا الوَسِيمُ، فَنَحْنُ لَمْ نَرَ مِثْلَكَ جَمَالاً وَحُسْنًا مُنْذَ أَنْ خُلِقْنَا.

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ: أَجَلْ، أَجَلْ، وَلَكِنْ نَحْنُ مَعْشَرَ الثَّعَالِبِ نَعِيشُ الآنَ فِي مُشْكِلَةٍ كُبْرَى، فَقَدْ مَاتَ الزَّعِيمُ وَلَمْ نَجِدْ مَنْ يَخْلُفُهُ إِلَى الآنِ، فَلَقَدِ اتَّفَقَ الجَمِيعُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الزَّعِيمُ وَسِيمًا رَشِيقًا مُتَنَاسِقَ العَضَلاتِ حَتَّى لا يُهَاجِمَهُ الأَسَدُ مَرَّةً أُخْرَى، وَأَنْتَ كَمَا تَرَى لَيْسَ فِينَا مَنْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ.

تَنَحْنَحَ بَدْرٌ وَصَمَتَ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ ثَعْلُوبُ وَقَالَ :هَلا تَوَاضَعْتَ وَرَضِيتَ بِأَنْ تَكُونَ حَاكِمَنَا وَزَعِيمَنَا؟

اِبْتَعَدَ بَدْرٌ قَلِيلاً وَقَالَ:إِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ بِالهَيِّنِ كَمَا تَتَصَوَّرُونَ، فَأَمْهِلُونِى بَعْضَ الوَقْتِ.

أَحَسَّ ثَعْلُوبُ وَثَعلُوبَةُ بِارْتِيَاحٍ لِهَذَا الرَّدِّ، فَهُمَا يَعْرِفَانِ أَنَّ بَدْرًا سَيُوَافِقُ، فَلَنْ يَجِدَ مَنْ يُقَدِّرُ جَمَالَهُ كَمَا تَفْعَلُ الثَّعَالِبُ.

اِنْصَرَفَ الجَمِيعُ إِلَى وَكْرِهِ، وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُغْمِضْ ثَعْلُوبُ جَفْنَهُ فَرَحًا، وَقَامَ قَبْلَ أَنْ تَبْزُغَ الشَّمْسُ وَقَالَ لِثَعْلُوبَةَ :وَهَلْ تَظُنِّينَ أَنَّهُ سَيُوَافِقُ؟ فَقَالَتْ لَهُ :اِطْمَئِنَّ، فَلَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ أَحْمَقَ مِثْلَ بَدْرٍ .

قَالَ ثَعْلُوبُ : وَلَكِنْ يَا ثَعْلُوبَةُ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ وَحْدَنَا، فَهوَ أَسْرَعُ مِنَّا وَأَقْوَى.

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : اِطْمَئِنَّ، إِنْ لَمْ نَقْدِرْ عَلَيهِ نَحْنُ الاثْنَانِ فَسَنَقْدِرُ عَلَيهِ نَحْنُ الأربَعَةُ

قَالَ ثَعْلُوبُ : الأَرْبَعَة؟ وَمَنْ تَعْنِينَ؟

قَالَتْ : لَقَدْ دَعَوْتُ أَبْنَاءَ عُمُومَتِنَا الثَّعْلَبَ الرَّمَادِىَّ وَشَقِيقَتَهُ العَرْجَاءَ، وَهَكَذَا إِنْ حَاوَلَ الفِرَارَ نُحَاصِرْهُ مِنَ الاتِّجَاهَاتِ الأَرْبَعَةِ وَنَنْقَضَّ عَلَيهِ مَعًا، فَنُمَزِّقُ أَحْشَاءَهُ وَنَشْرَبُ دِمَاءَهُ.

لَمَّا سَمِعَ ثَعْلُوبُ كَلامَهَا هَذَا سَالَ لُعَابُهُ وَأَصْدَرَتْ أَمْعَاؤُهُ صَوْتًا كَالصَّفِيرِ، وَقَالَ: مَتَى هَذَا اليَوْمُ الْمَوْعُودُ؟

اِبْتَسَمَتْ ثَعْلُوبَةُ، وَقَالَتْ : اِصْبِرْ إِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ .

وَفِي اليَومِ المَوْعُودِ ذَهَبَ ثَعْلُوبُ وَثَعْلُوبَةُ فَلَمْ يَجِدَا بَدْرًا، فَخَشِىَ ثَعْلُوبُ أَنْ تَذْهَبَ جُهُودُهُمَا هَبَاءً مَنْثُورًا. وَبَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ أَقْبَلَ بَدْرٌ مِنْ بَعِيدٍ يَتَهَادَى وَيَتَمَطَّى فِي مِشْيَتِهِ .وَلَمَّا وَصَلَ اِسْتَقْبَلَهُ ثَعْلُوبُ وَثعْلُوبَةُ بِكُلِّ حَفَاوَةٍ كَالعَادَةِ، وَابْتَسَمَتْ ثَعلُوبَةُ، وَقَالَتْ :هَلْ فَكَّرْتَ يَا صَاحِبَ الجَلالَةِ فِي الأَمْرِ؟ صَمَتَ بَدْرٌ وَقَالَ : نَعَمْ،

لَقَدْ فَكَّرْتُ وَوَافَقْتُ، وَسَأَذْهَبُ مَعَكُمَا، فَلَمْ يَعُدْ يَرْبِطُنِي بِقَطِيعِ الغِزْلانِ الْمُزَرْكَشَةِ أَيُّ شَيْءٍ، فَلاَ أَحَدَ يُقَدِّرُ حُسْنِي وَبَهائِي، بَلِ الجَمِيعُ يَسْخَرُ مِنِّي، وَلَعَلِّي عِنْدَمَا أُصْبِحُ حَاكِمَ وَادِي الثَّعَالِبِ يُدْرِكُونَ قِيمَتِي وَيُقَدِّرُونَهَا .

هَنَّأَ ثَعْلُوبُ بَدْرًا عَلَى قَرَارِهِ هَذَا، وَهَنَّأَتْهُ ثَعْلُوبَةُ أَيْضًا، وَعِنْدَمَا هَمَّ بَدْرٌ بِالمَسِيرِ قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ : تَوَقَّفْ يَا صَاحِبَ السُّمُوِّ، يَجِبُ أَنْ نَحْتَفِلَ بِهَذَا النَّبَإِ العَظِيمِ .وَأَخْرَجَتْ مِنْ وَرَائِهَا كُومَةً مِنَ العُشْبِ الطَّرِيِّ وَقِطَعًا مِنَ الشَّهْدِ .فَرِحَ بَدْرٌ لَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَانْهَمَكَ فِي الأَكْلِ دُونَ تَقْدِيرٍ لِلْعَوَاقِبِ.

وَبَعدَ أَنْ أَنْهَى أَكْلَهُ قَالَ : هَيَّا بِنَا نَنْطَلِقْ، فَقَالَ ثَعْلُوبُ : إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ الْمُخَضَّبَةَ بِالحِنَّاءِ لَمْ تُخْلَقْ لِلْمَشْيِ، فَنَحْنُ نَحْمِلُكَ عَلَى أَعْنَاقِنَا.

وَصَفَّقَ فَخَرَجَ الثَّعْلَبُ الرَّمَادِيُّ وَتَبِعَتْهُ العَرْجَاءُ مِنْ بَيْنِ العُشْبِ، وَقَالَ :الآنَ اصْعَدْ فَوْقَ أَعْنَاقِنَا يَا مَوْلاَنَا، فَصَعِدَ بَدْرٌ .

ظَنَّ بَدْرٌ عِنْدَئِذٍ أَنَّهُ يُعَانِقُ النُّجُومَ وَيُلامِسُ السَّمَاءَ مِنْ فَرْطِ السَّعَادَةِ.

وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ مَرَّ

بُومٌ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ، فَاسْتَغْرَبَ وَوَاصَلَ طَرِيقَهُ .

سَارَ الرَّكْبُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ، وَبَدَأَ الرَّمَادِيُّ وَالعَرْجَاءُ يَشْعُرَانِ بِالإِرْهَاقِ، فَقَالَتِ العَرْجَاءُ هَمْسًا :مَتَى سَنَنْقَضُّ عَلَيْهِ؟ أَخْشَى أَنْ أَمُوتَ تَعَبًا قَبْلَ أَنْ أَسْتَمْتِعَ بِلَحْمِهِ وَشَحْمِهِ.

وَقَبْلَ أَنْ تُنْهِيَ العَرْجَاءُ كَلامَهَا، بَلَغَ مَسْمَعَ بَدْرٍ بَعْضٌ مِنْهُ، فَبَقِيَ بَيْنَ الشَّكِّ وَاليَقِينِ، وَلَكِنَّ ظَنَّهُ تَأَكَّدَ حِينَمَا سَمِعَ الرَّمَادِيَّ يَقُولُ لَهَا :اِصْبِرِي، فَبَعْدَ قَلِيلٍ سَوْفَ تَسْتَمْتِعِينَ بِلَحْمِهِ وَشَحْمِهِ وَدَمِهِ أَيْضًا.

عِنْدَئِذٍ أَدْرَكَ بَدْرٌ أَنَّهُ وَقَعَ فِي فَخٍّ نَصَبَهُ لَهُ ثَعْلُوبٌ وَثَعْلُوبَةُ . فَكَّرَ طَوِيلاً، فَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ، وَفَجْأَةً بَرَقَتْ فِي ذِهْنِهِ فِكْرَةٌ فَقَالَ : يَا أَصْدِقَائِي، لَقَدْ أَتْعَبَكُمْ حَمْلِي فَهَلا سَمَحْتُمْ لِي بِالنُّزُولِ لِتَأْخُذُوا نَصِيبًا مِنَ الرَّاحَةِ؟

قَالَتْ ثَعْلُوبَةُ بِكُلِّ دَهَاءٍ : إِنَّ حَمْلَكَ شَرَفٌ عَظِيمٌ وَفَخْرٌ لَنَا جَمِيعًا.

فَقَالَ بَدْرٌ فِي نَفْسِهِ :يَا وَيْحِي، يَاوَيْلِي مَاذَا فَعَلْتُ بِنَفْسِي، لَقَدْ أَعْمَانِي غُرُورِي عَنْ رُؤْيَةِ الحَقِيقَةِ، فَمَتَى كَانَ لِبَنِي الثَّعَالِبِ

أَمَانٌ، وكَيْفَ صَدَّقْتُ أَكَاذِيبَهُمْ، وَهَلْ مِنَ العَقْلِ أَنْ يُصْبِحَ غَزَالٌ زَعِيمًا لِلثَّعَالِبِ؟ آهٍ آهٍ وَأَلْفُ آهٍ لَقَدْ وَقَعْتُ فِي شَرِّ أَعْمَالِي وَغُرُورِي وَتَكَبُّرِي، إِنِّي أَسْتَحِقُّ مَا يَحْدُثُ لِي الآنَ .

أَحَسَّ بَدْرٌ بِنَدَمٍ شَدِيدٍ وَحَسْرَةٍ تَعْتَصِرُ فُؤَادَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :لا لَنْ أَكُونَ لُقْمَةً سَائِغَةً فِي أَفْوَاهِهِمْ .ثُمَّ قَفَزَ مِنْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، فَتَأَهَّبَ الجَمِيعُ لِلانْقِضَاضِ عَلَيهِ وَمُطَارَدَتِهِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَعْدُوَ فَلَمْ تُسْعِفْهُ قَدَمَاهُ خَاصَّةً بَعْدَ الوَجْبَةِ الدَّسِمَةِ الَّتِي أَكَلَهَا قَبْلَ أَنْ يَمْتَطِيَ ظُهُورَ الثَّعَالِبِ.

لِذَلِكَ تَمَكَّنَتِ الثَّعَالِبُ مِنْ مُحَاصَرَتِهِ فِي لَمْحِ البَصَرِ .وَتَزَعَّمَتْهُمْ ثَعْلُوبَةُ، وَقَالَتْ: أَيُّهَا الْمَغْرُورُ هَلْ صَدَّقْتَ أَنَّنَا سَنُنَصِّبُكَ زَعِيمًا عَلَينَا؟ وَقَالَتِ العَرْجَاءُ : وَهَلْ خَلَتِ الدُّنْيَا مِنَ الحَيَوَانَاتِ حَتَّى نُنَصِّبَ غَزَالاً هَشًّا لَيِّنًا أَحْمَقَ مَغْرُورًا، إِنَّ الزَّعِيمَ يَا عَزِيزِي يَكُونُ حَكِيمًا قَوِيًّا قَادِرًا وَلَيْسَ مِثْلَكَ يَا جَمِيلَ الطَّلْعَةِ .

ضَحِكَ الجَمِيعُ، وَقَبْلَ أَنْ يَنْقَضُّوا عَلَيهِ سَمِعَ بَدْرٌ وَقْعَ أَقْدَامِ مِئَاتٍ مِنَ الحَيَوَانَاتِ

تَتَّجِهُ نَحْوَهُمْ، وَسَمِعَ صَوْتَ البُومِ يَقُولُ :هَيَّا أَسْرِعُوا، أَدْرِكُوهُ، أَدْرِكُوهُ .وفِي لَمْحِ البَصَرِ طَوَّقَ قَطِيعٌ مِنَ الغِزْلانِ الْمُزَرْكَشَةِ وَمِنَ القُطْعَانِ الأُخْرَى الثَّعَالِبَ الأَرْبَعَةَ مِنْ جَمِيعِ الاتِّجَاهَاتِ وَانْهَالُوا عَلَيهِمْ رَكْلاً وَدَهْسًا وَرَفْسًا، فَفَرَّتِ الثَّعَالِبُ دُونَ أَنْ تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ .أَمَّا بَدْرٌ فَقَدْ فَقَدَ وَعْيَهُ وَلَمْ يَسْتَفِقْ إِلا فِي اليَوْمِ التَّالِي فَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي حِجْرِ أُمِّهِ وَيُحِيطُ بِهِ بَعْضُ الغِزْلانِ الأُخْرَى .

عِنْدَمَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ تَأَمَّلَهُمْ جَمِيعًا وَانْتَصَبَ وَاقِفًا، ثُمَّ رَكَضَ وَرَكَضَ وَرَكَضَ حَتَّى أَدْرَكَ بِرْكَةً مِنَ الْوَحْلِ فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِيهَا وَشَرَعَ يَتَمَرَّغُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، فَالْتَفَّتْ بِهِ جَمِيعُ الغِزْلانِ مُسْتَغْرِبَةً .وَعِنْدَمَا خَرَجَ مِنَ البِرْكَةِ قَالَ :اغْفِرُوا لِي أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ زَلاتِي وَعَثَرَاتِي، فَمُنْذُ الْيَوْمِ أَعِدُكُمْ أَنْ أَكُونَ مِثَالَ الغَزَالِ الصَّالِحِ .

وَهَكَذَا مَضَتْ شُهُورٌ عَلَى تِلْكَ الحَادِثَةِ، وَأَصْبَحَ بِالفِعْلِ بَدْرٌ مِثَالَ الغَزَالِ الصَّالِحِ يُواظِبُ عَلَى سَمَاعِ نَصَائِحِ الزَّعِيمِ وَدُرُوسِهِ الرِّيَاضِيَّةِ، فَبَاتَ أَمْهَرَ الغِزْلانِ عَدْوًا وَرَكْلاً وَأَشَدَّهُمْ قُوَّةً وَبَأْسًا. وَكُلَّمَا عَاوَدَتْهُ مَشَاعِرُ الغُرُورِ وَالتَّبَاهِي يَجْرِي مُسْرِعًا نَحْوَ بِرْكَةِ الوَحْلِ فَيُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا وَيَتَمَرَّغُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً حَتَّى يُفَارِقَهُ ذَلِكَ الإِحْسَاسُ . وَمَعَ مُرُورِ الأَيَّامِ أَصْبَحَ بَدْرٌ زَعِيمَ قَطِيعِ الغِزْلانِ الْمُزَرْكَشَةِ وَحَكِيمَ جَمِيعِ القُطْعَانِ الأُخْرَى.